

لَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ أَنْ يَنْتَاولَ الْإِنْسَانُ مَوْضوعًا كَالْفُكَاةِ وَصِنَاعَةِ الضَّحْكِ مِنْ بَيْنِ مَوْضُوعَاتٍ أُخْرَى لَهَا أَهَمِّيَّتُهَا وَوُزْنُهَا، فَقَدْ اِهْتَمَّ بِهَا مُنْذُ الْقَدِيمِ فَلَاسِفَةٌ وَأَدَبَاءٌ بَارِزُونَ أَمْثَالُ: الْجَاحِظِ وَأَفْلَاطُونِ، أَمَّا فِي الزَّمَنِ الْمُعَاصِرِ فَيَنْمَثِلُ الرَّأْيُ الْغَالِبُ فِي عِلْمِ النَّفْسِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْفُكَاةِ عَلَى أَنَّهَا أَحَدُ أَهَمِّ أَسَالِيبِ الْمَوَاجَهَةِ، فَفِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ أُسِّسَتْ الْكَثِيرُ مِنْ "أَنْدِيَةِ الضَّحْكِ" فِي أَمَاكِنَ عِدَّةٍ مِنَ الْعَالَمِ، فَيَلْتَقِي أَعْضَاءُ هَذِهِ الْأَنْدِيَةِ دَوْرِيًّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْضُوا الْوَقْتَ فِي الضَّحْكِ، وَأَصْبَحَتْ بَعْضُ شَرَكَاتِ الطَّيْرَانِ تُعَيِّنُ بَعْضَ الْمُهَرِّجِينَ لِلتَّرْوِيجِ عَنِ الرُّكَّابِ وَإِضْحَاكِهِمْ، وَهَدَفُهَا مُسَاعَدَةُ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يُعَانُونَ مِنَ الْإِنْهِيَارِ الْعَصَبِيِّ عَلَى تَجَاوُزِ آلامِهِمُ النَّفْسِيَّةِ، وَمِنْ الْغَرِيبِ الطَّرِيفِ قِيَامُ هَذِهِ الْجَوْقَةِ بِتَسْجِيلِ اسْطُوانَةٍ مُدْمَجَةٍ لِأَغْرَاضِ الْعِلَاجِ النَّفْسِيِّ، هَلْ تَمْلِكُ حِسًّا فُكَاهِيًّا؟ إِنَّ حِسَّ الْفُكَاةِ هُوَ قُدْرَةُ الْمَرْءِ عَلَى أَنْ يُلَاحِظَ وَيَسْتَجِيبَ انْفِعَالِيًّا لِلْجَوَانِبِ الْمُضْحِكَةِ مِنَ الْأَحْدَاثِ، فَهَذِهِ الصِّنَاعَةُ لَا تَتَطَلَّبُ مِنْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَهَا أَوْ تَتَدَرَّبَ عَلَيْهَا، بَلْ هِيَ جَانِبٌ خَاصٌّ يُمَيِّزُ شَخْصًا عَنْ آخَرَ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى إِنْتَاجِ الْبَهْجَةِ، وَهُنَاكَ ثَلَاثَةُ مَعَانٍ يَتَضَمَّنُهَا قَوْلُنَا عَنْ شَخْصٍ مَا إِنَّهُ يَتَمَيَّزُ بِـ "حِسِّ فُكَاةٍ": أ. الْمَعْنَى الْإِتِفَاقِيُّ: نَقْصِدُ أَنْ هَذَا الشَّخْصُ يَضْحَكُ مِنَ الْأَشْيَاءِ نَفْسِهَا الَّتِي نَضْحَكُ نَحْنُ مِنْهَا. ت. الْمَعْنَى الْإِبْدَاعِيُّ: نَقْصِدُ أَنْ هَذَا الشَّخْصَ هُوَ "رُوحٌ" وَ "حَيَاةٌ" الْإِقَاءِ أَوْ الْحَفْلَةِ أَوْ التَّجْمُّعَاتِ، لِذَا فَالْوُصُولُ إِلَى الْإِتْقَانِ فِي صِنَاعَةِ الضَّحْكِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ أَبَدًا، فَصِنَاعُ الضَّحْكِ فِي الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِنَا يَتَمَتَّعُونَ بِقُدْرَةِ تُمَيِّزِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ فِي مِلَاحَظَةٍ وَاكْتِشَافِ التَّنَاقُضَاتِ فِي الْوَاقِعِ الْمُحِيطِ بِهِمْ، إِنَّ هَذِهِ الْقُدْرَةَ الْمُمَيَّزَةَ فِي فَنِّ الْإِضْحَاكِ تَرْتَبِطُ بِالْفُرُوقِ الْفَرْدِيَّةِ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ فِي امْتِلَاكِهِمْ حِسَّ الْفُكَاةِ، بَلْ إِنَّهَا تَأْخُذُ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ الْإِتِّجَاهَ الضَّاحِكِ السَّاخِرِ تَجَاهَ الْحَيَاةِ وَنَقَائِضِهَا، وَمِنْ أَشْهُرِ صُنَاعِ الضَّحْكِ الَّذِينَ عَرَفَتْهُمْ الثَّقَافَةُ الْحَدِيثَةُ الْكُومِيدِيُّ الْإِنْجِلِيزِيُّ "شَارْلِي شَابِلِن" الَّذِي احْتَرَفَ هَذَا الْفَنَّ، أَظْهَرَتْ الدِّرَاسَاتُ وَالْبُحُوثُ الْعِلْمِيَّةُ أَنَّ لِلضَّحْكِ آثَارًا وَفَوَائِدَ اجْتِمَاعِيَّةً وَفِسْيُولُوجِيَّةً عَلَى الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ لَهُ صِفَةَ الْإِنْتِشَارِ خِلَالَ عَمَلِيَّاتِ الْإِتِّصَالِ الصَّوْتِيِّ الْاجْتِمَاعِيِّ، فَهُوَ بِذَلِكَ يُقَاوِمُ الْإِكْتِنَابَ وَالْقَلَقَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ، إِذْ يُمَكِّنُ مِنْ خِلَالِهَا تَلْطِيفُ غَضَبِ الْآخَرِينَ وَهَجُومِهِمُ السَّلْبِيَّ، أ. يَعْمَلُ الضَّحْكَ عَلَى زِيَادَةِ النِّشَاطِ فِي الْمَخِّ وَالْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ لِلْإِنْسَانِ. وَلَكِنْ هَذَا يَحْدُثُ لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ يَعْقُبُهَا اسْتِرْخَاءٌ عَضَلِيٌّ وَشَعُورٌ بِتَحْسُنِ الْحَالِ.